يكون من أمثلة داء الشعور بالعظمة ، والحقيقة أن مظاهر داء الشعور بالعظمة ، ومظاهر داء الشعور بالحقارة قد تختلط ، ولكن المحك الذي تعرف به وتميز هو إما ثقة صاحب الداء بنفسه وعظمتها ثقة لا تدعو إلى القلق ، وإما أن مظاهر تعاظمه يخالطها القلق والحقد والحسد والدناءة والسفالة ، فالأول أكثر اطمئناناً حتى أنه قد لا يشعر بسخر الساخر به ، وقد يكون فى تكبره كريماً أو رحيم النفس ، وهو إذا ارتكب إثماً فإنما يرتكبه باسم العظمة والاصلاح ، ويرتكبه وهو مطمئن وادع لا حقد يشوب إثمه ولا قلق ولا دناءة كما تشوب هذه الصفات إثم المصاب بداء الشعور بالحقارة ، والأول إذا تواضع تواضع فى كبر المبالغ الواثق بنفسه ، وإذا تكبر تكبر بكبر الواثق بنفسه الذى لا يشعر بسخر الناس به ، وهذا المصاب بداء العظمة لا يتلصص فى تحايله ووسائله كما يفعل صاحب الشعور بالحقارة الذى هو أميل إلى الكيد والدس

والموظف الصغير النزلة فى المصرف أو فى الدواوين الذي يتعالى ويتعاظم ويتصام ويتفخم ويحملق فى وجوه أصحاب الحاجات ويتباطأ فى إجابتهم من غير سبب أو معذرة إنما هو مصاب بداء الشعور بالحقارة . ولعله يتشفى بهذه الأحوال مما أصاب نفسه من تعاظم من هو أعلى منه منزلة ، تعاظماً شعرت به الذلة والمسكنة. وفى بعض حالات هذا المرض لا ترى سبباً ظاهراً له ، فقد يصاب به الرجل من بيت عز وعلم فتتلمس العلل الخفية فتقول هل طغى عليه أبوه فى تربيته في الصغر طغياناً يشعره الذلة والمسكنة ، فاذا ورث أباه غطى ما ورثه على ذلك الداء من غير أن يعصمه من الأقوال والأعمال الناشئة منه ، أم هل ورث هذا الشعور عن أجداده ، أم أنه داء يعدى كما تعدى بعض الأمراض النفسية بالمحاكاة ولطول العشرة وحكم البيئة

ومما يلاحظ أن المحاكاة والعشرة والبيئة قد تنقل مظاهر هذا الداء فى المدارس من تلاميذ مصابين به إلى تلاميذ على الفطرة والسذاجة . ولعل المدارس المصرية أكثر مدارس العالم ديمقراطية لكثرة مجانية الفقر للتفوق ولانخفاض المصروفات فهى تساعد انتقال الصفات من طبقة إلى طبقة ، فالفقراء يحاكون الأغنياء فيخسرون ، وأبناء الأسر الطيبة تحاكى أبناء أسر أقل طيبة فيخسرون أيضاً وإن كان لهذه الديمقراطية مزايا

عبد الرحمن شكرى

من بريد القلق

من أحب المطالعات إلى نفسى كتب العالم الرياضى «هنرى بوانكاريه» . عندى من مؤلفاته ثلاثة كتب : «العلم والطريقة» و «العلم والفرض» و «قيمة العلم» . قرأتها لأول مرة منذ عشر سنوات . وأعود إليها من حين إلى حين . إنها لتسحرني كما تسحر الأطفال قصص ألف ليلة وليلة . فأنا الآن لا أقرأ كثيراً كتب الأدب . لأنى أنا نفسى أصنع كتباً فى الأدب . ولكني أحب أن أصغى إلى أولئك الذين يبحثون فى صمت عن الحقيقة . هؤلاء الذين عندهم ما يقولون ولكنهم يترفعون عن الكلام . فإن الحقيقة التى يحاولون أن يتصيدوا شبح خطاها خلف « الكرسكوبات » و« التلسكوبات » لأروع من أن توضع فى ألفاظ وعبارات . على أن ما يعنينى من كلام هؤلاء العلماء ليس الأرقام والمعادلات أى « الوسائل » ، ولا يعنينى كذلك ما وصلوا إليه من « نتائج » ، ولكن الذى أقرأ من أجله كتبهم هو تلك الإشراقات الذهنية التى تلمع من خلال بحوثهم فتضىء جانباً من جوانب الفكر المهجورة . ليس العلم فى ذاته هو الذى يهمنى ، ولكن هى «العقلية العلمية» فى مصادمتها ومواجهتها للأشياء . لاشىء يلذ لي مثل مجالسة «عالم» متسع الأفق . وهذا النعت لا ألقيه جزافاً ، فان من كبار رجال العلم من هم ضيقو الأفق ، أى سجناء معادلاتهم وأرقامهم ، يصلون بها مع ذلك إلى نتائج باهرة فى صميم العلم ، ولكنهم قلما ينظرون إلى العالم الخارجى . إنما الطراز الذى أقصد ، هو طراز رجل العلم المطبوع الذى يخرج بعد ذلك لينظر بعين العلم وعقلية العلم إلى الكون بمعناه الواسع . هى « فلسفة العلم » . ما أريد هنا بعد هذه القراءات أن يتضح لي أنا «رجل الأدب» كيف أن مخلوقاً آخر يسمى « رجل العلم » ينظر إلى ذات الأشياء التى أنظر إليها ويفكر فى هذا الكون الذى أفكر فيه ولكن بعين أخرى وعقل آخر . ومن يدرى ؟ لعل أكثر هؤلاء العلماء هم أيضاً لا يلذ لهم شىء مثل قراءة ومجالسة « رجال الأدب » فما الأمر فى باطنه إلا شوق وحب استطلاع بين نوعين مختلفين من هذا الحيوان المفكر

توفيق الحكيم